

تفسير البحر المحيط

@ 476 @ بالكسر مضارع حرص بالفتح ، وهي لغة الحجاز . وقرأ الحرميان ، والعربيان ،
والحسن ، والأعرج ، ومجاهد ، وشيبة ، وشبل ، ومزاحم الخراساني ، والطاردي ، وابن سيرين
: لا يهدي مبنياً للمفعول ، ومن مفعول لم يسم فاعله . والفاعل في يضل ضمير اﻻ والعائد
على من محذوف تقديره : من يضله اﻻ . وقرأ الكوفيون ، وابن مسعود ، وابن المسيب ،
وجماعة : يهدي مبنياً للفاعل . والظاهر أن في يهدي ضميراً يعود على اﻻ ، ومن مفعول ،
وعلى ما حكى الفراء أن هدى يأتي بمعنى اهتدى يكون لازماً ، والفاعل من أي لا يهتدي من
يضله اﻻ . وقرأت فرقة منهم عبد اﻻ : لا يهدي بفتح الياء وكسر الهاء والدال . كذا قال
ابن عطية ، ويعني : وتشديد الدال وأصله يهتدي ، فأدغم كقولك في : يختصم بخصم . وقرأت
فرقة : يهدي بضم الياء وكسر الدال ، قال ابن عطية : وهي ضعيفة انتهى . وإذا ثبت أن هدى
لازم بمعنى اهتدى لم تكن ضعيفة ، لأنه أدخل على اللازم همزة التعدية ، فالمعنى : لا يجعل
مهتدياً من أضله ، وفي مصحف أبي : لا هادي لمن أضل . وقال الزمخشري : وفي قراءة أبي
فإن اﻻ لا هادي لمن يضل ولمن أضل . وقرء : يضل بفتح الياء ، وقال أيضاً : حرص رسول
اﻻ صلى اﻻ عليه وسلم) على إيمان قريش ، وعرفه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة ، وأنه
لا يهدي من يضل أي : لا يلفظ بمن يخذل لأنه عبث ، واﻻ تعالى متعالٍ عن العبث ، لأنه من
قبيل القبائح التي لا تجوز عليه انتهى . وهو على طريقة الاعتزال . والضمير في لهم عائد
على معنى من ، والضمير في وأقسموا عائد على كفار قريش . وعن أبي العالية : نزلت في رجل
من المسلمين تقاضى ديناً على رجل من المشركين ، فكان فيما تكلم به المسلم الذي ادخره
بعد الموت فقال المشرك ، وأنكر أنك تبعث بعد الموت ، وأقسم باﻻ لا يبعث اﻻ من يموت ،
بلى رد عليه ما نفاه ، وأكده بالقسم ، والتقدير : بلى يبعثه . وانتصب وعداً وحققاً على
أنهما مصدران مؤكدان لما دل عليه بلى من تقدير المحذوف الذي هو يبعثه . وقال الحوفي :
حقاً نعت لو عدا . وقرأ الضحاك : بلى وعد حق ، والتقدير : بعثهم وعد عليه حق ، وحق صفة
لوعد . وقال الزمخشري : وأقسموا باﻻ معطوف على وقال الذين أشركوا ، إيداناً بأنهما
كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بأن تحكيا وتدوّننا ، توريك ذنوبهم على مشيئة اﻻ ،
وإنكارهم البعث مقسمين عليه ، وبيّن أن الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه ، ولكن أكثر
الناس لا يعلمون أنهم يبعثون ، أو أنه وعد واجب على اﻻ لأنهم يقولون : لا يجب على اﻻ شيء
، لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة انتهى . وهو على طريقة الاعتزال . وأكثر الناس
هم الكفار المكذبون بالبعث . وأما قول الشيعة : إن الإشارة بهذه الآية إنما هي لعلي بن

أبي طالب ، وأن اﷻ سيبعثه في الدنيا ، فسخافة من القول . والقول بالرجعة باطل وافتراء على اﷻ على عاداتهم ، رده ابن عباس وغيره . واللام في ليبين متعلقة بالفعل المقدر بعد بلى أي : نبعثهم ليبين لهم كما يقول الرجل : ما ضربت أحداً فيقول : بلى زيدا أي : ضربت زيدا . ويعود الضمير في يبعثهم المقدر ، وفي لهم على معنى من في قوله : من يموت ، وهو شامل للمؤمنين والكفار . والذي اختلفوا فيه هو الحق وأنهم كانوا كاذبين فيما اعتقدوا من جعل آلهة مع اﷻ ، وإنكار النبوءات ، وإنكار البعث ، وغير ذلك مما أمروا به . وبين لهم أنه دين اﷻ فكذبوا به وكذبوا في نسبة أشياء إلى اﷻ تعالى . وقال الزمخشري : إنهم كذبوا في قولهم : لو شاء اﷻ ما عبدنا من دونه من شيء ، وفي قولهم : لا يبعث اﷻ من يموت انتهى . وفي قولهم دسيصة الاعتزال . وقيل : تتعلق ليبين بقوله : ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ، أي : ليظهر لهم اختلافهم ، وأن الكفار كانوا على ضلالة من قبل بعث ذلك الرسول ، كاذبون في رد ما يجيء به الرسل . .

{ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّسْقُلَ لَهُ كُفْرًا فَيَكُونُ * وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا طَلَمُوا * لَنُؤَيِّدَنَّاهُمْ * وَنُخَلِّصُنَّهُمْ مِنَ الْأَظْمَرِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } .

وَأَكْدُوا ذَلِكَ بِالْحَلْفِ بِالَّذِي أَوْجَدَهُمْ ، ورد عليهم تعالى بقوله : { بَلَى } وذكر حقية وعده بذلك ، أوضح أنه تعالى متى تعلقت إرادته بوجود شيء أوجده . وقد أقروا بأنه تعالى خالق هذا العالم سمائة وأرضه ، وأن إيجاده ذلك لم يوقف على سبق مادة ولا آلة ، فكما قدر على